من طرق غزو بلاد المسلمين

الجمعة ٨/ ٥/ ١٤٢٨هـ

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ... أمَّا بَعْدُ:

فَمَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

لَقَدْ كَانَ مِنْ حِكْمَةِ الله تَعَالَى فِي هَذِهِ الحَيَاةِ تَغَيُّرُ أَحْوَالِهَا وَتَبَدُّلُ سُنَنِهَا مِنْ زَمَانٍ إِلَى آخَرَ بِحَسْبِ الأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَى فِي حَيَاةِ النَّاسِ وَأَحْوَالِهِمْ، وَلِذَا مَنْ تَصَفَّحَ كُتُبَ التَّارِيخِ وَأَيَّامَ النَّاسِ رَأَى مِصْدَاقَ ذَلِكَ...

أُمَّةٌ كَانَتْ تَحْكُمُ بِالأَمْسِ فَأَصْبَحَتْ مَحْكُومَةً اليَوْمَ... عَزِيزٌ يُذَلُّ وَذَلِيلٌ يُعَزُّ.. بِلَادٌ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَيْهَا طَلَبًا لِلرِّزْقِ وَالمَأْوَى وَبَعْدَ حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ تُشَدُّ الرِّحَالُ عَنْهَا وَيُهْجَرُ فِيهَا المَأْوَى... وَهَكَذَا تَمْضِي الحَيَاةُ بِسُنَنِهَا وَسَرْمَدِيَّتِهَا ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَلَمَّا كَانَتْ أُمَّةُ الإِسْلَامِ لَهَا القَدَحُ المُعَلَّى وَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيِ الأُمَمِ، وَلَقَدْ سَطَّرَ التَّارِيخُ عُصُورًا مَرَّتْ عَلَى أُمَّةِ الإِسْلَامِ وَهِيَ شَامِخَةٌ عَزِيزَةٌ بِدِينِهَا وَحَضَارَتِهَا... فَفِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ وَالخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ كَانَ لِلْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ هَيْبَةٌ

وَقُوَّةٌ خَافَتْهَا أُمَمُ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، ثُمَّ فِي دَارِ الخِلَافَةِ فِي دِمَشْقَ وَبَغْدَادَ وَالأَنْدَلُسِ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ عِزَّةٌ وَشُمُوخٌ وَإِنْ كَانَ قَدِ ارْعَاهُمْ مَا نَخَرَ فِي أَسْوَارِهِمْ وَأَوْهَى بَعْضَ قُوَاهُمْ، وَمَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ يَضْعُفُ أَمْرُهُمْ تَارَةً وَيَقْوَى تَارَةً حَتَّى وَصَلَ حَالُهُمْ فِي هَذَا العَصْرِ إِلَى تَفَرُّقٍ وَتَنَاحُرٍ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَمَا زَالَ أَعْدَاءُهُمْ فِي قُوَّةٍ وَتَسَلُّطٍ عَلَيْهِمْ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَلَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَتَمَّ بَيَانٍ وَبِأَوْضَحِ بُرْهَانٍ أَنَّ نَصْرَ الْمُسْلِمِينَ وَعِزَّتَهُمْ مَرْهُونَةٌ بِرُجُوعِهِمْ إِلَى دِينِهِمْ.. ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ ...﴾ وفي المقابل: ﴿وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَلَقَدْ نَجَحَ أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى فِي إِحْدَاثِ جُرُوحٍ عَمِيقَةٍ فِي بَدَنِ أُمَّةِ الإِسْلَامِ، فَزَادَ وَهَنُهَا وَضَعْفُهَا كَمَا يُرَى وَيُسْمَعُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَقْطَارِ الْمُسْلِمِينَ... نَجَحَ القَوْمُ فِي غَزْوِ أُمَّةِ الإِسْلَامِ بِطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ لَهُمُ

الظَّفَرُ وَمَا زَالَ، وَلَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ غَلَبَةٌ إِلَّا بِمَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ مِنْ نَصْرِ دِينِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ الأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ وَهُوَ مُنَزِّلُ الكِتَابِ وَمُسَخِّرُ السَّحَابِ وَهَازِمُ الأَحْزَابِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَقَبْلَ ذِكْرِ بَعْضِ طُرُقِ القَوْمِ فِي غَزْوِ الْمُسْلِمِينَ يُقَالُ:

لَيْسَ ذِكْرُ مُصَابِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَابِ التَّشَاؤُمِ أَوِ التَّقَاعُسِ، حَاشَا وَكَلَّا! وَلَكِنْ مِنْ بَابِ ذِكْرِ الدَّاءِ ثُمَّ الدَّوَاءِ لِتَقْوَى العَزَائِمُ وَتُشْحَذَ الهِمَمُ.

وَعَوْدًا عَلَى بَدْءٍ يُقَالُ:

مِنْ أَعْظَمِ طُرُقِ غَزْوِهِمْ: التَّشْكِيكُ فِي مُسَلَّمَاتِ العَقِيدَةِ وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَأَنَّ فِيهَا كَبْتًا لِلْحُرِّيَّاتِ وَعَائِقًا عَنِ التَّقَدُّمِ وَالرُّقِيِّ!! فَتَارَةً يُثِيرُونَ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ الشَّرِيعَةِ بِمَقَالَاتٍ مَقْرُوءَةٍ أَوْ مَسْمُوعَةٍ أَوْ مِنْ خِلَالِ نَظَرِيَّاتٍ تُدَرَّسُ فِي جَامِعَاتِهِمْ يَحْضُرُ دِرَاسَتَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُبْتَعَثِينَ، وَلَقَدْ نَجَحُوا فِي جَعْلِ بَعْضِ أُولَئِكَ الْمُبْتَعَثِينَ وَسَائِلَ إِفْسَادٍ وَهَدْمٍ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ... فَكَمْ نَقْرَأُ وَنَسْمَعُ وَنَرَى مِنْ بَعْضِ تَلَامِيذِ تِلْكَ التَّوَجُّهَاتِ مِنِ اعْتِرَاضٍ عَلَى بَعْضِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ تَارَةً

مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَتَارَةً مِنْ طَرْفٍ جَلِيٍّ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ طُرُقِهِمْ فِي غَزْوِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ: السَّعْيُ فِي زَعْزَعَةِ الِاسْتِقْرَارِ النَّفْسِيِّ لِيَنْتُجَ عَنْهُ عَدَمُ الِاسْتِقْرَارِ السَّكَنِيِّ، وَذَلِكَ يُعِينُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ ثَمَّ الِاسْتِقْرَارُ فِي بِلَادِهِمْ.. وَمِمَّا أَعَانَ القَوْمَ عَلَى ذَلِكَ ظُلْمُ بَعْضِ حُكَّامِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ أَحْكَامَ الإِسْلَامِ وَعَقِيدَتَهُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ طُرُقِهِمْ فِي غَزْوِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ: اسْتِغْلَالُ ذَوِي التَّوَجُّهَاتِ الفِكْرِيَّةِ الْمُعَادِيَةِ لِلْفَضِيلَةِ الَّذِينَ بَهَرَتْهُمْ حَضَارَةُ الغَرْبِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا دُونَ تَفْرِيقٍ بَيْنَ غَثِّهَا وَسَمِينِهَا؛ فَيَسْعَوْنَ إِلَى جَلْبِهِمْ إِلَى بِلَادِهِمْ حَتَّى يَصْنَعُوهُمْ عَلَى أَعْيُنِهِمْ لِيَرْجِعُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بِلَادِهِمْ مَعَاوِلَ هَدْمٍ وَإِفْسَادٍ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَقْلَامِهِمْ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ طُرُقِ غَزْوِهِمْ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِمْ: إِيجَادُ اسْتِقْرَارٍ عَسْكَرِيٍّ لَهُمْ فِي بَعْضِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بِدَعْوَى ضَبْطِ الأَوْضَاعِ وَضَمَانِ الِاسْتِقْرَارِ فِي المِنْطَقَةِ؛ فَتَكُونُ

تِلْكَ القَوَاعِدُ العَسْكَرِيَّةُ أَوْ مَا شَاكَلَهَا كَمِثْلِ الفَيْرُوسِ الكَامِنِ مَتَى تَحَرَّكَ أَثَّرَ فِي الجِسْمِ وَأَقَضَّ مَضْجِعَهُ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمِنْ طُرُقِ غَزْوِهِمْ أَيْضًا: عِنَايَتُهُمُ العَظِيمَةُ بِشَأْنِ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ وَتَطْوِيرِ صِنَاعَتِهَا وَالتَّفَنُّنِ فِي تَقْنِيَتِهَا مِنْ مَرْئِيٍّ وَمَسْمُوعٍ وَمَقْرُوءٍ... وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مِمَّا يُعِينُ عَلَى التَّقَدُّمِ وَالرُّقِيِّ فِي حَيَاةِ البَشَرِ إِلَّا أَنَّ بَيْتَ القَصِيدِ فِي ذَلِكَ عِنَايَتُهُمْ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِإِفْسَادِ الأَعْرَاضِ وَالأَخْلَاقِ بِتِلْكَ القَنَوَاتِ وَالإِذَاعَاتِ وَالمَجَلَّاتِ الَّتِي لَا هَمَّ لَهَا إِلَّا الفَسَادُ الخُلُقِيُّ، وَقَدْ عُنُوا عِنَايَةً عَظِيمَةً بِتَصْدِيرِهَا وَإِيصَالِهَا إِلَى بِلَادِ المُسْلِمِينَ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمِنْ طُرُقِ غَزْوِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ عُمُومًا وَلِشَبَابِهِمْ خُصُوصًا: تِلْكَ الدِّعَايَاتُ وَالتَّسْهِيلَاتُ الَّتِي تَتَنَافَسُ فِيهَا شَرِكَاتُ السِّيَاحَةِ وَالطَّيَرَانِ وَتَتَبَارَى فِي جَذْبِ شَبَابِ المُسْلِمِينَ إِلَى الذَّهَابِ سِيَاحَةً لِأَمَاكِنَ تَهْدِمُ الفَضِيلَةَ وَتَبْنِي الرَّذِيلَةَ...

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

إِنَّ الحَمْدَ لله... أَمَّا بَعْدُ: ..... **مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:**

وَمِنْ أَهْدَافِهِمُ الِاقْتِصَادِيَةِ: تَوْجِيهُ اسْتِثْمَارِ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دُوَلِهِمْ وَالسَّعْيُ فِي زَعْزَعَةِ اقْتِصَادِ بِلَادِ الإِسْلَامِ، وَذَلِكَ بِإِيجَادِ الِاضْطِرَابَاتِ المَالِيَةِ...

وَمِنْ طُرُقِهِمْ فِي ذَلِكَ: احْتِكَارُهُمْ لِسِلَعٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الحَيَاةِ؛ فَيَجْعَلُونَهَا وَرَقَةَ ضَغْطٍ يَتَلَاعَبُونَ بِهَا مَتَى شَاؤُوا وَكَيْفَ شَاؤُوا.

وَمِنْ طُرُقِهِمْ فِي إِكْرَاهِ بَعْضِ الدُّوَلِ وَإِرْغَامِهِمْ بِمَا يُرِيدُونَ: السَّعْيُ فِي إِسْقَاطِ عَمَلِيَّةِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ وَتَهْمِيشِ أَمْرِهَا مُمَهِّدَ تَتَّبُ عَلَيْهِ فَوْضَى اجْتِمَاعِيَّةٌ مِنْ نَهْبٍ وَسَرِقَةٍ وَحَرْقٍ وَقَتْلٍ.

وَمِنْ غَزْوِهِمُ الِاقْتِصَادِيِّ: التَّوَاطُؤُ عَلَى إِسْقَاطِ الشَّرِكَاتِ الْمُسْلِمَةِ الكُبْرَى، وَبِخَاصَّةٍ الَّتِي يَخْشَوْنَ مُنَافَسَتَهَا.. فَيَسْعَوْنَ فِي تَشْوِيهِ سُمْعَتِهَا مِنَ الأَبْوَابِ الَّتِي تَلْقَى قَابِلِيَّةً عِنْدَ الْمُجْتَمَعَاتِ، فَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الشَّرِكَةُ الْمُسْلِمَةُ شَرِكَةَ أَطْعِمَةٍ تَعَرَّضُوا لِخُطُورَةِ بَعْضِ مُنْتَجَاتِهَا عَلَى الجَانِبِ الصِّحِّي، وَإِنْ كَانَتْ شَرِكَةَ اسْتِثْمَارٍ تَعَرَّضُوا لِلْجَانِبِ الإِدَارِيِّ مِنْ حَيْثُ الفَسَادُ الوَظِيفِيُّ...

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: حِرْصُهُمْ وَعَظِيمُ اهْتِمَامِهِمْ بِالتَّحَكُّمِ فِي أَسْوَاقِ المَالِ الكُبْرَى، كَسُوقِ الذَّهَبِ وَمَا يُسَمَّى بِالْبُورْصَاتِ المَالِيَّةِ العَالَمِيَّةِ.. فَتِلْكَ تُمَثِّلُ العَمُودَ الفِقَرِيَّ لِاقْتِصَادِ العَالَمِ كُلِّهِ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمِنْ طُرُقِ غَزْوِهِمْ أَيْضًا: السَّعْيُ فِي إِيقَادِ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ عَلَى مُسْتَوَى الحُكُومَاتِ وَالشُّعُوبِ.. وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ الِاسْتِعْمَارِ الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا خَلَّفَ وَرَاءَهُ نِزَاعَاتٍ جُغْرَافِيَّةً لِيَضْمَنَ بَقَاءَ الشِّقَاقِ وَالفُرْقَةِ وَالتَّنَاحُرِ، وَمِنْ ثَمَّ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِمْ؛ فَفِيهِ الخِصَامُ وَهُوَ الخَصْمُ وَالحَكَمُ!

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمِنْ طُرُقِ غَزْوِهِمْ ـ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ ـ: إِيقَادُ وَإِشْعَالُ وَإِذْكَاءُ العُنْصُرِيَّاتِ القَوْمِيَّةِ وَالعِرْقِيَّةِ وَالثَّارَاتِ القَبَلِيَّةِ؛ لِيَبْقَى المُسْلِمُونَ فِي تَنَاحُرٍ دَائِمٍ مِمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ وَهَنُهُمْ وَتَفَرُّقُهُمْ، وَفِي المُقَابِلِ قُوَّةُ عَدُوِّهِمْ...